

## نَجْتَهِد فِيمَا ضَمَنَ اللهُ لَنَا مِنَ الاسْتِخْلَافِ

وَنَقْصِر فِيمَا طَلَبَ مِنَّا مِنَ الْعِبُودِيَّةِ

وَنَطَالِبُ مَوْلَانَا بِالنَّاتِجِ

مَخْلَص حَمِيد الدِّين

### يَقُولُ الْعَلَامَةُ الشَّهِيدُ الْبُوطِي فِي كِتَابِهِ شَرْحَ الْحُكْمِ الْعَطَائِيَّةِ:

يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

وَتَتَأَمَّلُ فِي حَالِ فَرِيقٍ كَبِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِذَا هُمْ مُعْرَضُونَ عَنِ وَعْدِ اللهِ بِهَذَا الاسْتِخْلَافِ إِنْ هُمْ أَنْجَزُوا أَوْامِرَهُ وَنَفَذُوا وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ، وَيَبْحَثُونَ لِلْوَصُولِ إِلَى هَذَا الاسْتِخْلَافِ وَالْحُكْمِ فِي الْأَرْضِ، عَنْ كُلِّ مَا يَتَخِيلُونَهُ مِنَ الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ الْآخَرَى، وَرَبَّمَا وَضَعُوا أَنْفُسَهُمْ مَوْضِعَ الْمَهَانَةِ فِي اسْتِجْدَاءِ هَذَا الَّذِي وَعَدَهُمُ اللهُ بِهِ، مِنْ أَعْدَائِهِمْ وَمِنَ الْأُمَمِ أَوْ الدُّوَلِ الْمَتَسَلِّطَةِ عَلَيْهِمْ !!...

وَالْغَرِيبُ أَنْ تَجْرِبَةَ هَذَا الْإِعْرَاضِ عَنِ الْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللهِ، مُقَابِلَ مَا أَلْزَمَ اللهُ بِهِ ذَاتَهُ الْعَلِيَّةَ مِنَ الْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمْ، يَتَحَلَّى لِلْعِيَانِ سُوءَ نَتَائِجِهَا، وَخِيَّةَ آمَالِ أَصْحَابِهَا بِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ يَمَعِنُونَ، فِي هَذَا الْإِعْرَاضِ عَمَّا كَلَّفَهُمُ اللهُ بِهِ مِنَ الْوِظَائِفِ، وَيُوَاصِلُونَ الْمَضِيَّ فِي تَجَارِبِهِمُ الْفَاشِلَةَ، الَّتِي تَنْقَلِبُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى ذَلِّ، وَتَزِيدُهُمْ بَعْدًا عَنِ الْهَدَفِ الَّذِي يَطْمَحُونَ إِلَيْهِ، فَهَلْ فِي التَّصَرُّفَاتِ التَّائِهَةِ مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا التَّصَرُّفِ؟

ولو أن أحداث التاريخ لم تكن شاهداً عملياً لصدق وعد الله لعباده إن هم صدقوا معه فيث إنجاز ما قد كلفهم به، لربما كان في الوعد النظري ما يبعث على الريبة والشك، نظراً لضعف ثقة المسلمين اليوم بوعود خالقهم ومولاهم.

ولكن تاريخ هذه الأمة، ينطق واقعه بشهادة تجلجل على أسماع الدنيا كلها، بصدق وعد الله عز وجل فيما أخبر والتزم!..

كان المسلمون في صدر الإسلام حفنة من عرب الصحراء، فلما أصغوا إلى خطاب الله لهم، وتبينوا الوظيفة التي حملهم الله إياها، وآمنوا بألوهيته ووحدانيته، ووثقوا بوعدده وحكمه، وسعوا سعيهم الجاد إلى أداء وظائفهم التي كلفوا بها فمارسوا عبوديتهم لله بالسلوك الاختياري، كما قد فطروا عليها بالواقع الاضطراري، أنجز الله لهم عز وجل: **(لَنُهْلِكََنَّ الظَّالِمِينَ \* وَلَنَسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ )** فأزاح عن طريقهم إمبراطوريات الروم والفرس واليونان، وأقام من تلك الحفنة من عرب الصحراء قادة وحكاماً لشعوب تلك البلاد، وأورثهم أرضهم وديارهم بكل ما فيها من دخر وخيرات!..

وإن المتأمل في تاريخ ذلك الرعيل، ليعجب بالوفاء الذي بادل الله به وفاءهم، في أحداث ناطقة بهذه الحقيقة لا تحتل أي ريب.

وإن من أبرز مظاهر هذا الوفاء وآثاره، قول عمر لأبي عبيدة، وقد وصل عمر إلى مشارف الشام مرتدياً مرقعته المعروفة التي كانت تحوي ما لا يقل عن اثني عشر رقعة، والتي أثارت عتياً خفياً همس به أبو عبيدة في أذن عمر:

**( نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما طلبنا العزّ بغير ما أعزنا الله به أدلنا الله ) ..!**

ألا ، فلتعلم هذه الأمة، أن كل حرف من حروف هذه الكلمات، يرتل نشيد وفاء مع الله عز وجل، تجاه ما قد أنجزه لتلك الحفنة من الوعد الذي قطعه على ذاته العلية لها.. هذا بالإضافة إلى الدوق العالي الذي تتألق به هذه الكلمات وتزدان به معانيها. لو ان عمر كسا جسمه ثياب الأبهو والفخار، وأقبل إلى أباطرة الشام مزهواً بها، لكان في ذلك ما يشعر بأن العرب (وإنما عمر ممثل لهم في

ذلك الموقف ) إنما انتصروا وتغلبوا، بهذه الفخامة والمظاهر وفف ذلك تزففف للسبب الحقفف، وتناس للفضل الإلهف الذي نصرهم مع ضعفهم، وأغناهم من فقر، وأعزهم من ذل، إذن ففب أن فراهم أباطرة الشام على حالتهم الفف كانوا عليها، حتى ففلموا أن الفد الفف انتشلتهم وسمت بهم إلى هذا الشأو الباسق، إنما هف فد الله عز وجل. وحتى ففكون ذلك بمثابة إعلان منهم، بأنهم ففسوا مدنفف فف ذلك كله إلا لمنة الله وفضله ..!

ذلك هو الشعور العالف الذي كان فساور عمر الذي أصرّ ألا فراه زعماء الشام وأباطرته إلا بتلك المرقعة الفف تنطق لهم بحقفقتف اثنتف:

أولاهما: افتقار العرب إلى أدنى مقومات النصر وتجردهم عن كل أسبابها المادية الطبعفة. الثانية: الفد الإلهفة الفف رفعت لهم شأنًا وخلدت لهم ذكرًا وأورثتهم (وهم ففمرغون فف ضعفهم وفقرهم) أجل درجات القوة والغنى. أما نحن الفوم، أحفاد ذلك الرعفل، فلا نحن بالفوظفة الفف كلفنا الله بها ننهض، ولا بوعدف الذي قطعف لنا نثق، ولا بذلك الواقع الفارفف الناطق نعتبر!.. نتطوح ذات الفمفن وذات الشمال، ونطرق كل الأبواب المذلة ما عدا باب الله المعز!.. وتزفدنا التجارب التائهة خسارة إثر خسارة، دون أن نعود من هذه التجارب الخائبة والمخففة، إلى الباب الذي دلنا عليه الله، وإلى العكوف على الوظففة الفف خلقنا الله لها وأقامنا عليها!..

**المصدر:** كتاب شرح الحكم العطائفة الصفحة 88